أشكال المنافقين

بقلم: الدكتور أحمد أديب أحمد

لقد ذكرَ اللهُ تعالى الْمُنافقينَ بصفاتٍ ظاهرةٍ:

- فَهُمُ الـذينَ يَصـــدُّونَ عن الحقِّ بـدليـلِ قولـه تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا).
- وَهُمُ الذينَ يَشـكُّونَ باللهِ ويَحمِلُونَ على سـوءِ الظَّنِّ بهِ من خلالِ التَّشـكيكِ بوَعدِهِ للمؤمنينَ بدليلِ قوله جلَّ جلالُهُ: (وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ باللّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ).
- وَهُمُ الذينَ تَمَسَّكُوا بعلمِ التَّشريعِ الْمَحْضِ وتَركوا علمَ الحقائقِ فاستحقُّوا العذاب بقوله تعالى: (يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ).
- وَهُمُ الذينَ يُراؤونَ بعبادَتِهم أمامَ النَّاسِ بدليلِ قوله ســـبحانَهُ: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً)، وقد وصفَهم سيِّدُنا النَّبيُّ عيسى المسيحُ (ع) بقوله: (أتَعلمونَ مَن الْمُرَائي: هو الذي يَعبُدُ بلسانِهِ اللهَ، ويَعبُدُ بقلبِهِ النَّاسَ)، ومَثواهُم كمَثوى الكفَّارِ لقولـه عزَّ وَجـلَّ: (إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا).

لكنَّ للمُنافِقينَ صـــفاتٍ خفيَّةً أشـــارَ إليها اللهُ ســـبحانَهُ بقوله: (وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ)؛ فالإشارةُ بقولِهِ: (مِّنَ الأَعْرَابِ) إلى الخارجينَ عن ولايةِ الحقِّ، الْمَوصـوفينَ بقولِهِ تعالى: (الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)، فَهُمْ ليسـوا من أبناءِ هذا البيتِ المحمَّديِّ الطَّاهرِ ولا يَستحقُّونَ الدُّخولَ إليهِ ولا معرفةَ ما فيهِ. أمَّا الإشارةُ بقوله: (أَهْلِ الْمَدِينَةِ) فهم أهلُ مدينةِ رسولِ اللهِ (ص) الذينَ دخلوا من بابِ ولايةِ الحقِّ ولكنَّهم مَرَدُوا أي عَصَـوا بإنكارِهم تعطيلاً وطَغَوا بشِركِهم تَشبيهًا وجاوَزُوا حَدَّ الغايةِ إفراطًا وتفريطًا فَلَجُّوا في النِّفاقِ واستمرُّوا عليه.

وقد أشارَ أميرُ المؤمنينَ الإمامُ علي (م) إلى صفاتٍ خفيَّةٍ للمُنافِقِينَ لِنَعرفَهم بها منها:

- الهَيبَةُ في قوله (م): (الهَيبَةُ تَرُدُّ عن الحَقِّ)، وهي الحَذرُ الشـــَّديدُ من قولِ كلمةِ الحقِّ، والذي يؤدِّي بالْمُنافقِ إلى قولِ الباطلِ تَمَلُّقًا وخوفًا من الْمُنخَنِقَةِ.
- الْمُمَاطَلَةُ في قوله (م): (الْمُمَاطَلَةُ تُفَرِّطُ في العملِ حتَّى يَقْدُمَ عليهِ الأَجَلُ).
- الغِرَّةُ في قوله (م): (الغِرَّةُ تُقَصِّرُ بالْمَرءِ عن العملِ)، وهي الغفلةُ في اليقظَةِ، وتؤدِّي بصاحبـــِها الْمُقصِّرِ إلى اللَّهو عمَّا هو واجبُ العملِ من إعلاءِ كلمةِ الحقِّ.
- الفرَحُ في قولـه (م): (الفَرَحُ مَكروهٌ عندَ اللهِ) وهو إغواءُ الدُّنيا بدليلِ قوله تعالى: (وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ)، وقوله سبحانه عن قارون اللَّعين: (إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ).
- الْمَرَحُ في قوله (م): (الْمَرَحُ خَبْلاءُ) والْمَقصودُ بالخَبَلِ جنونُ العَظمةِ في قولِهِ تعالى: (وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ).

وكِلا الفرحِ والْمَرحِ ناتجٌ عن سُوءِ الْمُعتَقَدِ والانحرافِ نحوَ الشِّركِ والإنكارِ.

- اللَّجَاجَةُ في قوله (م): (اللَّجَاجَةُ بلاءٌ لِمَن اضطرَّتْهُ إلى حَملِ الآثامِ) وهي عِنادُ الجُهَّالِ في خصومَةِ أهلِ التَّوحيدِ الحقِّ والتَّمادي فيها ممَّا يَزيدُ عليهم الآثامَ والذُّنوبَ.
- التَّكاثــُرُ في قوله (م): (التَّكاثرُ لَهوٌ ولَعبٌ وشُغلٌ واستبدالُ الذي هو أدنَى بالذي هو خَيرٌ)، وهو الانشـــغـالُ بـالأهَواءِ التي تُلـهي عن العِبادَةِ لقوله تعالى: (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ، حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ)، وليسَ الْمَقصودُ به تكاثُـرَ الذُّرِّيَّةِ من الأولادِ، بل اللَّهو بتكاثـرِ كلِّ ما يتعلَّقُ بحُبِّ الدُّنيا من علومِ الحشوِ التي تُعَدُّ سبيلاً لتكاثـرِ الْمَالِ والجاهِ والشُّهرَةِ والسُّلطَةِ.
- الكِبْرُ في قوله (م): (مَن اسـتَكْبَرَ أدبَرَ عن الحَقِّ)، والإدبارُ هو تحوُّلُ الاتِّجاهِ وهو ضـِدُّ الإقبالِ، ومَن أدبرَ عن التَّوحيدِ الحقِّ أقبلَ إلى باطلِ التَّشبيهِ والتَّعطيلِ.
- الفَخْرُ في قوله (م): (مَن فَخَرَ فَجَرَ)، فالفَخرُ هو التَّباهي بالنَّفسِ والْمَالِ والجاهِ والحَسَبِ والنَّسَبِ إلى درجةِ التَّكبُّرِ وإظهارِ العظمَةِ، ما يؤدِّي بصـاحبـــِهِ من أبناءِ بعضِ الْمَشـايخِ إلى الفجورِ أي الفِسقِ والتَّمادي في الْمَعاصي.
- الحَمِيَّةُ في قوله (م): (مَن حَمَى أصـرَّ على الذُّنوبِ)، فالحميَّةُ هي قوَّةُ الغضـَبِ إذا ثارَتْ، وهي ناشـئةٌ عن الجَهلِ في العقيدةِ والحُمقِ في الطَّبعِ، وهي ضـِدُّ السـَّكينةِ النَّاشـئةِ عن علمِ التَّوحيدِ

والْمَعرفةِ الرَّبَّانيَّةِ كما في قوله تعالى: (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِـــهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا).

- العصـبيَّةُ في قوله (م): (مَن أَخَذَتْهُ العَصَـبيَّةُ جَارَ)، سـواءٌ كانتِ العصـبيَّةُ قَبَليَّةً أو عشـائريَّةً أو مَذهبيَّةً، وهي تؤدِّي إلى جَورِ الإنكارِ وظُلمِ الإشراكِ والْمَيلِ عن قَصدِ التَّوحيدِ.

حتَّى قال (م): (فَبِـــئْـــسَ الأمرُ، أمرٌ بينَ إدبَارٍ وفُجورٍ وإصرارٍ وجَورٍ، على الصِّراطِ)؛ يعني بئسَ الأمرُ على صِراطِ التَّوحيدِ الْمُستقيمِ.

فمَن اتَّصَـفَ بصـفاتِ الْمُنافقينَ حادَ عن صـِراطِ التَّوحيدِ الْمُســتقيمِ إلى انحرافاتِ التَّشــبيهِ وسَقطاتِ التَّعطيلِ.

نكتفي لعدم الإطالة والله أعلم

الباحث الديني الدكتور أحمد أديب أحمد